

# سمير قسيمي أتماهى مع شخصياتي.. وأراه

هذه الرغبة هي السبب الوجيه لأي تحريف وإن كان تأملياً بسيطاً. لهذا لم أجد حرجاً ولا أعتقد أنني تخرجت حين اخترت أن يكون موضوع روايتي نبيّ جديد أو دين جديد، فأننا لم اخترع شيئاً لم يخترعه السابقون.

■ البعض في العالم العربي يصنّف الحكايات البوليسية على أنها درجة ثانية.. كيف ترى ذلك في ظل الحكمة البوليسية التشويقية في «الماشاء»؟  
- اعتبار الحكمة البوليسية درجة ثانية يدل على تخلف سردي واضح. مجرد التعليق على ذلك يمنح صدقية لهذا التصنيف.

■ في كتاب الماشاء نص داخل نص، وفي روايتك «الحالم» نص داخل نص أيضاً... هل صارت هذه التقنية ملمحاً رئيسياً في مشروعك السردية؟

- ليس هناك أي نوع من الشبه، «كتاب الماشاء» وإن بدت رواية داخل رواية إلا أنها كانت تستند إلى التوثيق، وهي في ذلك مختلفة عن «الحالم»، لأن هذه الأخيرة كتبت بتقنية رواية برواية، أي إنها تكوّنت من ثلاث روايات غير متضمنة بعضها في بعض، يمكن قراءتها مستقلة، وستملك مواضع مستقلة ولكنها إذا قرئت بالترتيب المتفق عليه فستملك موضوعاً آخر. على حد علمي لم يكتب في ما كتب في الرواية العربية ما يشبه رواية «الحالم». لا أقول ذلك من باب الترجسية والغرور وإنما من باب علمي بما كتب لحد الآن.

كان الروائي الجزائري سмир قسيمي (1974)، في منتصف عقده الثاني إبان عشية الدم، أو العشرية السوداء بحسب تعبير الجزائريين عن تلك الموجات الارهابية التي ضربت البلاد، إلا أنه لم يتخذ منها مرتكزاً رئيسياً لمشروعه السردية. لا يحب الروائي الجزائري الخوض في «القضايا الكبرى»، بقدر انشغاله بسؤال الإنسان، وحياة المهمشين، أولئك الذين يعالج مصائرهم بقدر كبير من الفانتازيا، وبارتفاعات كبيرة عن سطح الواقع، ليغزل عوالم تبرز بين التخيل، وتقتفي من الواقع آثار ما يصلح لنص روائي. الكاتب الذي سبق لروايته «يوم رانم للموت» أن وصلت إلى القائمة الطويلة من «الجائزة العالمية للرواية العربية» (البوكر)، أصدر أخيراً عن «دار المحدث» المراقية روايته السابعة «كتاب الماشاء... هلايك النسخة الأخيرة»، بإحالة واضحة إلى روايته الثالثة «هلايك» (2010). وفي «كتاب الماشاء» يخوض قسيمي مغامرة في مسيرته الرواية، عبر إعادة كتابة تلك الرواية، وتغيير زوايا الحكى، وسد فجواته. تحكي «كتاب الماشاء» عبر تقنية سردية مركبة، تاريخ النبي المجهول الوافد بن عباد، الذي تنكشف حكاياته عن طريق الكثير من الوثائق والرحلات المكوكية إلى الصحراء الجزائرية أو حتى بين المدن الفرنسية. وبحبكة بوليسية يجر لغز الوافد بن عباد العديد من الألغاز والحكايات والشخصيات: المستشرق سيبيستان دي لاكروا، نوح شيرازي، قدور فراش، السايح.. بعيداً عن ذلك، فإن الكاتب الجزائري عرف بصداهيته، حيث تثار معه بين الحين والآخر اشتباكات نقدية وغير نقدية، هم الكثير من الكتاب، بخلاف اشتباكات الدائمة مع المؤسسة الثقافية في الجزائر، منذ عهد خليفة تومي، ووصولاً إلى عهد عز الدين ميهوبي. كان قسيمي ولا يزال شخصية مثيرة للجدل، سواء عبر تلك الصدامات، أو عبر اعترافه بالالتحاق المؤقت بمن يسميهم (المنبطحين)، قبل أن يتدارك موقفه ويقود حملة تطالب بإلغاء وزارة الثقافة في الجزائر كلياً.

هنا نص حوار معه:

احمد  
محدث  
همام

■ عملت بئاً، وتاجرأ، وفي المصالح الحكومية... كيف تحولت إلى الكتابة؟ من أين تتبع الكتابة؟

- توجهي إلى الكتابة لم يكن قراراً. لو كنت أؤمن بالصدفة لقلت إنها مجرد صدفة لا غير، فالحياة التي عشتها لم تهينني لأكون كاتباً، على الأقل بالنحو الذي يعتقد الناس. ولكنني حين أتأمل حياتي، تحضرني والدتي وشغفها بالقصص. تحضرني الأحياء الشعبية بلغوها وثرثرتها وإشاعاتها، وكل ما فيها من خيال ينسب بالصدق والكذب. تحضرني أيضاً كل الأحلام التي داخلت حياتي ولم أحققها أو تلك التي لم أطمح حتى بتحقيقها. حين يحضرني ذلك، أجد تراكمات نفسياً تمكنت بطريقة ما من تحويل مجراه، وإعادة تشكيله بالكلمات. لطالما اعترفت بأنني بسبب تنشئتي وتكويني العلمي الصرف وقلة مطالعاني إلى سن معينة، أملك قاموساً لغوياً متواضعاً جداً، ولكنني بالمقابل أملك قدرة ترهيني حتى أنا في استثمار هذا القاموس بنحو يستعصي حتى على اللغويين.

الكتابة بالنسبة إلي هي القدرة اللامتناهية على التخيل. لحسن حظي أملك من الخيال ما يجعلني أنظر من شئت لأحكي لك القصة نفسها بأكثر من طريقة من غير أن تمل أو حتى أن تشعر بأنها القصة نفسها. لقد قلت مرة إن في رأسي عشرات القصص التي تتزاحم وتتصادم وتتسابق لأكتبها. لأول مرة سأعترف بأنني صرحت كذبا، فالحقيقة التي استحييت من ذكرها، أن في رأسي عدداً لا متناهياً من القصص، وهو ما يجعلني أشعر بالعجز عن تحريرها وصياغتها كروايات.

■ «كتاب الماشاء» هي النسخة الأخيرة من روايتك الأسبق «هلايك»، ما الذي دفع لإعادة كتابة فكرة سبق لك أن نشرتها؟  
- أولاً لأنها روايتي، وثانياً لأنني أستطيع ذلك. سأعترف لك بأمر. حين صدرت روايتي «هلايك» (2010) لم أشعر بأن القارئ العربي استساغها لسببين: الأول وهو نسبة الفانتازيا فيها، والثاني خياراتي التقنية، لهذا لم تحظ بما يليق بها من ترحيب نقدي، وهي الرواية المؤتثة بنحو استثنائي.

مع الوقت، يكتسب الكاتب ثقة وقدرة خاصة على الكتابة. هي حالة يسميها النقاد الاحتراف وأسميها أنا الاعتراف بالعجز أمام النص، فأننا بعد سبع روايات أجدني أخيراً

في المرتبة الراقية للكاتب المبتدئ، وهي مرتبة تسمح لي بالكتابة بكل ما أملك من تهور وانفلات من القارئ المحتمل. مرتبة تسمح لي بالاعتراف بأخطائي لا بخفي كما كنت أفعل، بل باحترام وحسب للنص الذي أعجزني وبالرغم من ذلك صغته في شكل الرواية.

■ ترسم تواريخ موازية في روايتك «كتاب الماشاء»، وتختلق واقعا لم يكن، إلا أنه رواية أخرى عما جرى... لماذا اخترت هذه الصيغة لكتابة الرواية... والروايات بطبيعة الحال تقوم على التخيل... ما الذي أردت أن تمرره للقارئ عبر دراما النص؟  
- إنها طريقي لأقول إن الحقيقة ليست مطلقة، وليس ثمة من يملك

تنمو فيه الديانات وتطور، وفيه أيضاً تجد الحضارات قوتها رغم جحودها المستمر لدور الهامش فيها.  
■ ترسم تواريخ موازية في روايتك «كتاب الماشاء»، وتختلق واقعا لم يكن، إلا أنه رواية أخرى عما جرى... لماذا اخترت هذه الصيغة لكتابة الرواية... والروايات بطبيعة الحال تقوم على التخيل... ما الذي أردت أن تمرره للقارئ عبر دراما النص؟  
- إنها طريقي لأقول إن الحقيقة ليست مطلقة، وليس ثمة من يملك

■ عكست المعادلة، ووقفت مكان الآخر الفرنسي سيبيستان دي لاكروا، لتكتب عن نفسك، عن الجزائر... هل وجدت صعوبة في تبديل الأدوار؟  
- كان الأمر شاقاً، ولكنه بلا شك ممتع جداً. المتعة في الكتابة هي أساس نجاح أي عمل، وأنا أخذ الرواية على محمل الجد، لهذا يشعر القارئ بأنني أتماهى مع الرواية إلى حد تختلط عليه إن كانت حقيقة أم لا. أتماهى مع شخصياتي أيضاً وأتعامل مع القارئ لا بصفته متلقياً أقل مني موهبة، بل بصفته شخصاً أذكى مني، لهذا لا أستسهل التعاطي مع النص ولا مع الشخصيات.

في «كتاب الماشاء» أتحدث بلسان سيبيستان دي لاكروا، وحين أفعل ذلك اتقمص شخصية المترجم والمستشرق، تجد ملامح هذا التقمص في لغته وحتى مفرداته وأسلوب جملة. أفعل الشيء نفسه مع ميشال دوبري وجيل مانسيرون، ولكنني حين أنطق بلسانيهما أضع في حسابي أنهما من القرن الحادي والعشرين، لهذا تجد لغتهما مختلفة عن لغة سيبيستان. إنها لعبة تفاصيل، والتفاصيل هي ما تجعل عملاً ما أفضل من عمل آخر.

■ قلت في واحد من حواراتك الصحافية: «حتى الله يصطفي أنبياءه من الهامش»... هل لذلك اخترت أن تكتب عن سلالة هلايك جَد المهمشين؟  
- هلايك ابن غير شرعي لآدم. جيل مانسرون ابن غير شرعي لسيبيستان. قدور والسايح حفيدان غير شرعيين أيضاً وهكذا. حاولت أن أقارب بين الهامشي واللاشرعي، وهي المقاربة المعتمدة رسمياً شيئاً ذلك أم أبقينا. لكنني في الوقت نفسه أردت أن أرسم الخارطة الحقيقية للهامش، وهي التي في الواقع أكبر مساحة وأكثر شساعة من المتن. الهامش هو الفضاء الذي

